مجلة الباحث – المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة:2025	صفحات المقال: 243 – 253	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

البعد الاستشرافيّ الدّيستوبيّ للعتبات النّصيّة في رواية العربيّ الأخير لواسيني الأعرج

The Dystopian prognostic dimension of paratext in The Last Arab by Oussaini Al-Araj

نعيمة نورين

المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري، الجزائر

naima.nourine@ensb.dz

نعيمة بوزيدي

المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري، الجزائر

naima.bouzidi@ensb.dz

تاريخ الإرسال: 2024/11/02 تاريخ القبول: 2025/08/09 تاريخ النشر: 2025/09/30

المؤلف المراسل: نعيمة نورين، naima.nourine@ensb.dz

الملخص:

تهدف هذه الدّراسة إلى الكشف عن الملامح الدّيستوبيّة والطّاقات الاستشرافيّة المتضمّنة في خطاب العتبات النّصيّة لرواية 2084 حكاية العربي الأخير لواسيني الأعرج الّتي تتأسّس على رؤية تشاؤميّة للمستقبل مرّرها الكاتب عبر عناصر فنيّة ترددّت بين داخل النّص وخارجه، وقد ركزّت الدرّاسة على العتبات النّصيّة بوصفها علامات سيميائية تختزن دلالات إيحائية مكثّفة تتطلب من القارئ نشاطا استدلاليا لتأويلها، لذا فقد استدعى استنطاق هذه الدّوال التّسلح بأدوات إجرائيّة لمناهج سياقية وقراءة محايثة من أجل التّوصل إلى الدّلالات الثّاوية خلف هذه الشّفرات الرّمزية وفكّها للإفصاح عن مقصدية الكاتب قبل الغوص في دهاليز النّص والتّأكد من التّفاعل الحاصل بين النّص ومناصاته.

الكلمات المفتاحية:

الاستشراف، الدّيستوبيا، العتبات النّصيّة، رواية2084، واسيني الأعرج.

Abstract:

This study aims to reveal the dystopian features and the anticipatory energies embedded in the paratext discourse of Oussaini Al-Araj's novel "2084 The Tale of the Last Arab," which presents a pessimistic vision of the future, which the author this passed on through artistic elements that shift between the text and its contextual framework. The research focuses on paratext as semiotic markers with profound and suggestive meanings that require the reader's inferential effort to interpret them. Therefore, analyzing these signs required the use of procedural tools from contextual approaches and a close reading in order to uncover and decode the hidden meanings behind these symbolic codes. This process reveals the writer's intent before diving into the complexities of the text and verifies the interaction between the text and its paratext.

Keywords:

Anticipation, Dystopia, paratext, 2084 novel, Oussaini Al-Araj.

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة:2025	صفحات المقال: 243 – 253	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

1. مقدمة:

تحوّلت الرّواية العربيّة مع نهاية القرن العشرين وبداية الألفية الثّالثة من الواقعيّة نحو آفاق افتراضيّة مستقبليّة ذات رؤية تشاؤميّة، متأثّرة بما حولها من ظروف، فما شهده الوطن العربيّ من هزائم وأزمات اقتصاديّة واضطرابات سياسيّة متتالية بدءا من الحروب العربيّة الإسرائيليّة، وصولا إلى ثورات الرّبيع العربي الّتي طالت دولا كثيرة كالعراق وسوريا واليمن وليبيا دفع كلّ أديب مهموم بقضايا أمّته إلى التّفكير في المستقبل الّذي يبدو أنّه لم يعد مهيّأ لقراءة طوباوية، ولهذا انتقلت الرّواية الاستشرافية من النّزعة الطّوباوية إلى الدّيستوبيا، و لم يكن الرّوائي الجزائريّ بمنأى عن هذه الظّروف، فقد عرفت الجزائر ظروفا مماثلة غذت خيبات الأمل لدى الأدباء، ويعدّ واسيني الأعرج من أبرز الأقلام الجزائريّة المنشغلة بقضايا المستقبل من خلال روايته 2084 حكاية العربي الأخير الّتي كتبها على أعقاب ثورات الرّبيع العربي الّتي يبدو أنّه لم يكن متفائلا بها كثيرا، فقد صوّر مجتمعا مستقبليّا أسود، وحذّر من التّطورات المحتملة، فكيف وظّف واسيني الأعرج العتبات النّصية لخدمة رؤيته المستقبليّة التّشاؤمية؟ وماهي المضمرات الثّاوية خلف هذه العتبات؟ وما علاقتها بمضمون الرّواية؟ سنحاول من هذه الورقة البحثية الإجابة عن الأسئلة السّابقة من خلال الاستفادة من أدوات إجرائيّة لمناهج سياقية وأخرى نسقيّة، خاصّة إذا كُنا أمام روائي ينتقي عتبات رواياته بدقّة تجعلها منفتحة على القراءات الّتي لا يمكن أن تغفل البنية اللّغوية و الدّلالة السّيمائيّة ولا العناصر التّداوليّة المحيطة بالنّص.

ونتطلّع من خلال هذا التّحليل إلى تحقيق الأهداف التّالية:

-التّعريف بالرّواية الاستشرافيّة الدّيستوبيّة و استقصاء ظروف نشأتها.

-استنباط الطّاقات الاستشرافية والملامح الدّيستوبيّة الكامنة في العتبات النّصيّة لرواية 2084 حكاية العربي الأخير لواسيني الأعرج.

-ربط الدّلالات المضمرة في هذه العتبات النّصيّة بمضمون الرّواية، وتحديد العلاقة بينهما.

2.الاستشراف الدّيستوبيّ بلاغة جديدة في الرّواية:

أخذت الرّواية الحديثة سمات جديدة في الكتابة تواكب مشاغل الإنسان المعاصر، فقد لجأ بعض الأدباء إلى الهروب من الواقع لا إلى الطّبيعة كما فعل الرّومانسيون، بل قفزوا على الزّمن نحو أفضية خيالية، وأزمنة غيبية افتراضية، وسعوا الى استبصار المستقبل وتشوّف عوالم قادمة، فبرز نمط جديد في السّرد العربيّ وهو السّرد الاستشرافيّ.

والاستشراف في اللّغة "أن تضع يدك على حاجبك وتنظر، وأصله من الشّرف أي العلوّ، كأنّه ينظر إليه من موضع مرتفع، فيكون أكثر لإدراكه...و استشرفت الشّيء إذا رفعت رأسك أو بصرك تنظر إليه...وفي الحديث: لا تشرّفوا للبلاء، قال شمر: التّشرّف للشّيء التّطلع والنّظر إليه وحديث النّفس وتوقّعه."[1]

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة:2025	صفحات المقال: 243 – 253	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

من خلال التّعريف اللّغويّ يتّضح أنّ الاستشراف بمعناه الحسيّ هو محاولة لاستبصار الشّيء البعيد بشرط اتّخاذ أسباب الرّؤية الواضحة كوضع اليد على الحاجب أو النّظر من مكان مرتفع.

وإذا أسقطنا هذا على الأدب نخلص إلى أنّ الاستشراف في الأدب "هو رؤيا جامحة في ثنايا المستقبل، رؤيا فكريّة وأدبيّة وإبداعيّة تقفز فوق شرفات متعدّدة على أحداث وتحوّلات من شأنها أن تغيّر المشهد الحياتيّ في جوانب كثيرة من أنحاء العالم، فالاستشراف قفزة فوق كلّ المسلّمات السّائدة، قفزة تكتشفها رؤيا الأديب الفنّان، وترصدها قبل وقوعها لتكسب ضوءا فوق جسد الأحداث والتّحوّلات"[2]. ذلك أنّ الأدباء هم أعين الأمم الثّاقبة الّتي ترى من خلالهم مستقبلها، يحاولون استطلاع المستقبل وتوقع مخايله استنادا إلى قواعد صحيحة تنطلق من وعي بالرّاهن وقراءة دقيقة فاحصة للحاضر من أجل بناء عوالم ممكنة لمستقبل الإنسان "فلا يمكن لأدب الاستشراف إلّا أن يكون أدبا ملتزما بقضية، قضيته الكبرى هي الدّفاع عن الحياة، عن الإنسان وعن محيطه. كاتب الاستشراف يجب عليه أن يكون متمكّنا من أحداث عصره، يجب أن يكون مستبصرا، يتمتّع بحسّ راق ليستنتج ما سيكون عليه المستقبل."[3] لهذا وانعكاسا للواقع فإنّ أغلب روايات الاستشراف المعاصرة جاءت مناهضة للطّوباوية* الّتي انتشرت في الكتابات الأدبية لفترة من الزّمن، فالمشاكل الّتي أفرزتها المعاصرة والعولمة الحديثة ولّدت رعبا وتخوّفا من الآتي كان هو العنصر الباني لنوع جديد من الرّواية يطلق عليها روايات الاستشراف الدّيستوبيّ.

و "ديستوبيا تعني المدينة الفاسدة أو المكان الجحيميّ فكلمة "dystopie" متكوّنة من السّابقة "dys" التي تعني باللّغة الاغريقية "الجحيم"، ومن topos" التي تعني المكان"[4]. كان استخدام لفظة ديستوبيا لأوّل مرّة من طرف الفيلسوف الإنجليزيّ جون ستيوارت ميل John stuart Mill (1806-1873)، كنقيض للفظة يوتوبيا (طوباوية)،حيث انتقد في أحد خطاباته سياسات الحكومة التّوسعيّة في إيرلندا بقوله:

"ربّما يكون إفراطا في الإطراء أن يدعوهم المرء طوباويين ، بل بالأحرى أن يطلق عليهم اسم ديستوبيين"[5] .ومنه يتّضح أنّ النّزعة الدّيستوبيّة في الرّواية ظهرت نقيضا للطّوباويّة، فإن كانت"المدينة الفاضلة حلما جميلا وإرادة بشرية حديثة قادرة على تحقيقه ولو بشكل جزئي، ومدينة الفساد كابوس يأتي حين يأتي، وصناعة بشريّة قوامها بشر تقوضت إنسانيتهم."[6]

يتناول أدب المدينة الفاسدة** أو الدّيستوبيا "مجتمعا متخيّلا مناوئا لقيم الفضيلة والعدل والخير والجمال والسّلام منتصرا لمثالب الشّر المطلق والخراب والقتل والقمع والفقر والمرض وفناء العالم على يد البشر، أو هو باختصار عالم يتجرّد فيه الإنسان من إنسانيته ويتحوّل المجتمع الى قطعان من مسوخ يناحر بعضها البعض"[7]. كلّ هذه المظاهر تفاقمت مع نهاية القرن العشرين الّتي شهدت أزمات اقتصاديّة وسياسيّة عالميّة وانتهاكات وتهديدات إنسانيّة حرّكت النخب المثقّفة لتدارك الوضع، فنشأة هذا النّوع من الأدب في الغرب تزامن مع "الثّورة الصّناعيّة ونضج النّهج التّشاؤميّ والنّقدي مع بروز أزمات القرن العشرين"[8] ، ولعلّ أفضل النّماذج

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة:2025	صفحات المقال: 243 – 253	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الرّوائيــة الغــربية: "نــحــن" "Nous" لإفغيــني زامــياتين(Evgueni Zamiatine)، و"منطـــقة الــخارج" La Zone du Dehors " لآلان داماسيو(Alan Damasio) و"أحسن العوالم الــممكنة" Le Meilleur des mondes" لألدو هيكسلاي (Aldous Huxley) و "1984" لجورج أورويل (George Orwell). وإذا انتقلنا إلى الرّواية العربيّة نجد أنّ تبنيها لهذه النّزعة جاء متأخرا بالنّسبة لنظيرتها الغربيّة، ويعزى ذلك لعوامل سياسية وثقافية أهمّها الاستعمار والقيود السّياسية والانشغال بقضايا الرّاهن، مع ذلك فإنّ هذا النّوع من الأدب بدأ يذيع في السّنوات الأخيرة، وقد خاض الكثير من الرّوائيين في هذا اللّون الأدبيّ أمثال أحمد خالد توفيق ومصطفى الكيلاني وطالب عمران وواسيني الأعرج وعز الدّين فشير وإبراهيم نصر الله وسعود السّنعوسي وبثينة العيسى ومحمد ربيع وغيرهم. وما يلاحظ على الرّواية العربية الدّيستوبيّة الحديثة أنّها "تشقّ طريقا خاصّا منفصلا ومتّصلا بالدّيستوبيا الغربيّة، فهي لا ترتمي في أحضان الخيال العلميّ المحلّق، كما أنّها لا تكتب من باب التّرفيه، إنّما تتأسّس على نوع من الالتزام بالواقع السّياسيّ والاجتماعيّ ولا تنفصل عنه"[9]،وهي في بعض الأحيان تعتمد التّخييل الفنتازيّ القائم على العجائبية واللاّمنطق من خلال استحضار رموز ثقافية عربيّة، وقد يتمّ إسقاط المستقبل في بعض الكتابات العربية عبر الحلم، "من ذلك مثلا يجد بطل الأزمان المظلمة لطالب عمران (2004) نفسه أثناء نومه في العام 2039 ،ويدرك برعب كبير التّحولات التي سيعرفها العالم بعد اندلاع حرب مدمّرة سميت حرب العدالة، ولكنّه لا يرى المستقبل إلاّ أثناء نومه اللّيلي."[10] فلجوء طالب عمران وغيره من الكُتّاب إلى الأحلام والكوابيس هو هروب من رقابة الحكومة خاصّة إذا كانت المواضيع الّتي يتمّ معالجتها مواضيع سياسية حساسة تتعلّق بالحكومة.

تمثّل الرّواية الاستشرافيّة ببعدها الدّيستوبي وسيلة للتّعبير عن المستقبل برؤية متشائمة تطرح أسئلة أخلاقية وسياسية تجعل من المدينة الفاسدة والمستقبل القاتم المرعب مسرحا لأحداثها.

3. تجليات الاستشراف والتّخييل الدّيستوبيّ في عتبات الرّواية:

كتبت رواية 2084 في عصر تعاظمت فيه هموم الوطن العربي وخطر العولمة الحديثة والمخاطر التّكنولوجيّة والبيولوجيّة فهي تخفي كابوسا استبداديّا، يعكس نفس الكاتب القلقة على مصير العرب في ظلّ الأزمات السّياسيّة والتّهديدات الخارجية، والإرهاب الّذي يتّخذ من الدّين مطية لتحقيق أطماعه الشّخصية.

تتوزّع أحداث الرّواية بين فضاءين متناقضين الأوّل قلعة أميروبا الّتي تمّ إنشاؤها في الصّحراء العربية على مقربة من سدّ مارابا (سدّ مأرب) يديرها الجنرال مالكوم بلير الملقّب بليتل بروز (Little Broz) الّذي يدّعي الجميع أنّه الابن الطّبيعي لبيغ بروذر (Big Brother)، حيث يمارس على ساكنيها كلّ أشكال التّسلّط والدّيكتاتورية، ويفرض سيطرته على الجميع ويراقب حتّى الأنفاس والأحاسيس، أمّا الفضاء الثّاني هو مقاطعة آرابيا الّتي يسكنها العرب الّذين لم يكن لهم حتى حظّ تجميعهم وحمايتهم مثل الهنود الحمر يتآكلون في عزلة الرّمل

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة:2025	صفحات المقال: 243 – 253	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

ويأكل بعضهم بعضا والمنتصر يموت عطشا وجوعا في أرض امتصّت من كلّ شيء و لم تعد تنجب إلّا الموت"[11] ، وقد استغل حلف أميروبا آدم غريب عالم الفيزياء النّوويّة باعتباره العينة العربيّة الأكثر ذكاء في صناعة قنبلة الجيب النّوويّة (Boket Bomb) وتجربتها في الصّحراء العربيّة ميدان الصّراع العربيّ الغربيّ، وبعد الانتهاء من المشروع تعود القوة الأميروبيّة إلى موطنها بعد أن نجحت في تصنيع قنبلة الجيب النّووية، بينما يتمّ نسف القلعة بمن فيها باستعمال القنبلة نفسها ،أمّا نهاية الرّواية فقد تركها الكاتب مفتوحة بإبقاء مصير بطلها آدم مجهولا، هل سيموت متأثّرا بجروحه الّتي سبّبها له التّنظيم، أم أنّه سيتشبث بالحياة وينجو. فقد ترك الكاتب فرصة أمام هذا العربي الأخير لعلّه يكون مصدر نجاة وتغيير لمستقبل العرب المتوقع.

تصوّر حكاية العربي الأخير سيطرة حلف أميروبا على العالم كنظام توتاليتاري مقنّع و قوة إمبريالية عسكريّة تضمّ كُلا من أوروبا وأمريكا وإسرائيل، حيث يحاول حلف أميروبا الاستيلاء على ثروات آرابيا، حتى وصل الحدّ إلى المتاجرة بأعضاء سكانها، "فموقع أميروبا استراتيجيّ ومهم فهي تقع في منطقة وسطى، يتمّ من خلالها التّحكم في حركة جزء مهم من النّفط العالميّ أو ما تبقى منه."[12]

وقد استثمر واسيني الأعرج العتبات كرسائل شبه نصيّة استشرف من خلالها هذه العوالم المغرقة في الدّيستوبيا، فمن أوّل عتبة يطؤها القارئ يدرك أنّه أمام رواية تجعل من المستقبل القاتم فضاء زمنيّا افتراضيّا لأحداثها.

1.3.عتبة العنوان:

يعدّ "العنوان أوّل شيفرة رمزيّة (Symbolical code) يلتقي بها القارئ، فهو أوّل ما يشدّ انتباهه وما يجب التّركيز عليه وفحصه وتحليله، بوصفه نصا أوّليّا يشير أو يخبر أو يوحي بما سيأتي، وعلى القراءة باعتبارها تلقيا منهجيا أن تلتفت الى العنوان محاولة ربطه بجسد النّص، وهنا تبدأ عملية تأويل العنوان وبناء نصّيته."[13]. وسم الأعرج روايته بعنوان مركّب يتكوّن من عنوان رئيسيّ يتمثّل في الملفوظ العدديّ (2084) ويؤسّس هذا الشّق من العنوان للفضاء الزّمانيّ الّذي تدور فيه أحداث الرّواية ، ثمّ ذيّل هذا العنوان العدديّ المبهم بعنوان فرعي (حكاية العربي الأخير) يشير إلى بطل الرّواية ومضمونها، ونلاحظ أنّ الجزء الأوّل من العنوان دال زمنيّ يعكس البعد الاستشرافيّ للرّواية والعنوان الفرعيّ دال موضوعيّ يحيل على مضمونها الدّيستوبيّ، وقد كتب العدد 2084 بلون أحمر ينذر بالخطر القادم مع مشارف سنة 2084 الّتي ستشهد نهاية مأساوية للعرب بعد أن فتكت بهم الحروب الدّاخليّة واسترف الغرب ثرواتهم، ويكون آخر عربي فيها هو آدم غريب عالم الفيزياء النّووية الّذي درس في الجامعة الأمريكيّة وأسهم في صناعة قنبلة الجيب النّووية لصالح الحلف الصّهيوأمريكي، في حين كتب الجزء الثّاني من العنوان بلون أبيض يضفي مسحة تفاؤليّة وسط عتمة غرق فيها غلاف الرّواية، فقد عزّز الكاتب رؤيته الاستشرافيّة الدّيستوبيّة بعتبة أيقونيّة تتمثّل في الغلاف الّذي أغرق واجهة الرّواية في ظلمة دامسة ينبعث من

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة:2025	صفحات المقال: 243 – 253	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

وسطها نور خافت من شرفة تمثّل الشّرفة الّتي يتطلّع منها بطل الرّواية إلى مستقبله وهو في سجن أميروبا، ولعلّها الشّرفة الّتي أطلّ منها الكاتب إلى مستقبل العرب المحاط بالظّلام.

يتفاعل عنوان الرّواية مع النّص نفسه و يتناص مع عنوان نص سابق يتعالق معه بشكل كبير وهو الدّيستوبيا الاستشرافيّة المشهورة 1984 لجورج أورويل الصّادرة عام 1949 والتّي كان عنوانها في البداية (آخر رجل في أوروبا)، فقد يؤدي العنوان وظيفة تناصيّة، " إذا كان يحيل على نص خارجيّ يتناسل معه ويتلاقح شكلا وفكرا"[14] فإذا انطلقنا من النّص الغائب نجد أنّ رواية العربي الأخير امتداد لرواية أورويل بناء على وجود علاقة بين شخصيات الرّوايتين، فليتل بروز أحد الشّخصيات المحورية في رواية العربي الأخير يدّعي سكان القلعة أنه الابن الطبيعيّ لبيغ بروذر (الأخ الأكبر) أحد شخصيات 1984، وما يؤكّد أكثر التّواشج بين الرّوايتين الخطاب الذي استهلّت به رواية 2084، و المتمثّل في خطاب ألقاه ليتل بروز بمناسبة الذّكرى المئوية لميلاد جدّه بيغ بروذر، كأنّ واسيني الأعرج يجدّد الخوف من المستقبل بعد مئة عام ، لكن "في كلّ مرحلة تاريخيّة يتبين أنّ الرّعب يغيّر مصدره وفق ما يمسّ المجتمعات من تحوّل وما يمسّ الحياة من تغيرات، فالجهة الّتي منها ينبثق الرّعب هي المادّة الّتي تبني متخيّل الدّيستوبيا"[15] فمصدر الرّعب في ديستوبيا أورويل هو الأنظمة الاستبداديّة والانغلاق الايديولوجيّ، أمّا رواية العربي الأخير فتصوّر مشاغل الإنسان العربي المعاصر وخوفه من المستقبل الّذي بدت مخايله مرعبة في ظلّ عالم أحادي القطبيّة، يسيطر فيه الغرب على الحكم ويمتلك الوسائل التّقنية الحديثة، ويحضّر لحملة تطهير وإبادة جماعية للجنس البشريّ العربيّ بعد أن تمّ استتراف ثرواتهم واستغلال ذكائهم وقدراتهم في تصنيع أخطر الأسلحة فتكا، في الوقت الذي يتخبّط العرب في ويلات الحروب الأهلية والتّطاحن القبلي الّذي يفكّكهم إلى دويلات صغيرة تتحوّل مع الوقت إلى بيادق تسيّرها القوى الخارجيّة كيفما تشاء.

وقد جاءت العناوين الدّاخليّة معزّزة لدلالات العنوان الرئيسيّ، فهي الأخرى مثقلة بالدّلالات الدّيستوبيّة: إقامة الذّئاب الضّالة، من يفتح النّوافذ المغلقة، كوابيس أمايا، غيمة العقرب الأسود، الخطأ مهد الخراب، كلّها عبارات تعكس ملامح ديستوبيّة تمّ تسريدها داخل الرّواية.

2.3.عتبة التّصدير :

يعرّف "جينيت" تصدير الكتاب/العمل كاقتباس يتموضع (يُنقش) عامّة على رأس الكتاب أو في جزء منه"[16]، والتّصدير في الرّواية هو كلّ خطاب تفتتح به، ويدوّن في الصّفحات الأولى ولا يكون جزءا من متن الرّواية، ويعدّ التّصدير كمقدمة للنّص أو الكتاب ذو قيمة تداوليّة[17] باعتباره نصّا موازيّا لنصّ الرّواية يجتث من سياقه الأصلي ويوظّف في سياق جديد يتقاطع مع متن الرّواية ليحقّق أغراضا توضيحيّة توجيهيّة، لهذا فقد اعتنى به واسيني الأعرج وأولاه أهمية بالغة من خلال استدعاء مجموعة من الاقتباسات، إذ استغنى عن الإهداء، و استهلّ روايته بشعار يردّد على لسان كلّ يهوديّ صهيونيّ "العربي الجيّد الوحيد هو العربي الميّت"، وقد أشار في الهامش

إلى مصدر هذا الشّعار حيث أنّ هذا التّصريح جزء من رسالة بعثها الدّبلوماسيّ الأمريكيّ باتريك سرينغ إلى المعهد العربيّ الأمريكيّ، أخذها عنه جوش بوزينستن اليهودي المتطرّف: أعزّائي اليهود، اقتلوا العرب الآن، العربي الجيد الوحيد هو العربي الميّت"[18]،فالهيمنة الصّهيوأمريكية هذه القوة التي تتحكّم في العالم لا تؤمن إلا بالعربي الميّت، سواء كان هذا الموت حقيقيّا بانفصال الرّوح عن الجسد أو موتا معنويّا موتا للضّمير ونكرانا للهوية والانتماء، وتريد للعربي أن يكون خاضعا مستكينا مستسلما أمام جرائم تغتال أحباءه وتنهب ثرواته وممتلكاته ، وأيّ مقاومة تقف في وجه أطماعه التّوسعيّة يحاول إخمادها بوحشية، وقد تكرّر هذا الشّعار كثيرا في متن الرّواية بالإضافة إلى شعارات أخرى (من ليس معنا فهو ضدّنا، الكلّ مع الواحد والواحد للكلّ، ليتل بروز لا يراكم هو فيكم، الحرب هي السّلام الحرية هي العبودية الجهل قوّة) وهي خطابات مابعد عرقيّة تفضح النّوايا الكولونياليّة المقنّعة القائمة على الهيمنة و السّادية والرّغبة في القضاء على الأجناس العربية الّتي أطلق عليها الكاتب الأجناس الآيلة للزوال .

أمّا التّصدير الثّاني بعد الشّعار السّابق فهو نص تاريخيّ مقتبس من مقدّمة ابن خلدون يقول فيه:" فهم (العرب) متنافسون في الرّئاسة، وقلّ أن يسلّم أحد منهم الأمر لغيره ولو كان أباه أو أخاه أو كبير عشيرته، إلّا في الأقلّ وعلى كره من أجل الحياء، فيتعدّد الحكّام منهم والأمراء، وتختلف الأيدي على الرّغبة في الجباية والأحكام، فيفسد العمران وينتقض..."[19] وقد بيّن من خلاله بعض خصال العرب والمتمثّلة في حبّهم للحكم وتنافسهم عليه ممّا يتسبّب في فساد العمران وتقويض بنيان الحضارة، وما حال اليمن والعراق والشّام والمغرب في عصر الانحطاط إلا شاهد تاريخيّ على ذلك، ويؤكّد ابن خلدون أنّ هذه الصّفات الّتي نسبها للعرب ثابتة فيهم ومتجدّدة مهما تغيّر الزمان والمكان، وبقراءة راهنة لواقع الأمة العربية اليوم وخاصّة الدّول الّتي حدّدها ابن خلدون تتّضح الرؤية الاستشرافية لهذا النّص فما حاله ببعيد عن الماضي وكأن التّاريخ يعيد نفسه، وقد استحضر واسيني الأعرج هذا النّص ليؤكّد على أنّ السّبب الأوّل فيما آل إليه العرب هو تكالبهم على السّلطة واحتكار الحكم، ويؤكد على أنّ هذا الوضع سيؤدي إلى نفس النتائج ما لم يتخل العرب عن أنانيتهم و غبائهم.

أمّا في التّصدير الثّالث فقد استدعى واسيني الأعرج نصّا روائيا يضمر طاقة استشرافيّة ذات نزعة ديستوبيّة تشاؤميّة اقتطفه من رواية 1984 لجورج أورويل الّتي تتناص مع حكاية العربي الأخير، حيث جاء على لسان السّارد في الرّواية" في المنظور المعلوم من حياتنا، لن تكون هناك أيّة إمكانية للتّغيير، نحن موتى حياتنا الحقيقية تكمن في المستقبل، سنشترك في صنعه حتما، لكن في شكل حفنات من غبار وكومات عظام، المهم على أيّة مسافة منّا يقع هذا المستقبل "[20] وانطلاقا من السّياق التّداوليّ الّذي وظّف فيه هذا المقتطف وباعتبار المصدَّر له هو القارئ العربي يتّضح أنّ الكاتب ينتقد حاضر الأمّة العربية المغرق في الدّيستوبيا لدرجة أنّه أصبح غير قابل للتّغيير، "لا يملكون شيئا على الرّغم من بقايا حضارتهم الإنسانيّة التي منحت الكثير من الخير للبشريّة وعلمتها التّسيير وبناء السّدود واحترام التّعدديّة الثّقافيّة و الدّينيّة كان في التّاريخ دائما شيئا يتكرّر."[21] ، فبعد أن كان

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة:2025	صفحات المقال: 243 – 253	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

العرب هم مهد الحضارة أصبحوا خارج الحضارة و التّاريخ، وهم في طريق العودة إلى بدائيتهم الأولى، وأكّد واسيني الأعرج على أنّ القادم سيكون أفزع إذا بقوا على هذه الحال و لم يستيقظوا من سباتهم. إنّ الرّواية بمثابة هزّة قوية للقارئ العربي، توقظ ضميره الميّت وترهّبه من المستقبل الّذي لم يعد بعيدا، إنها علاج بالصّدمة، حيث تكشف حقيقة العلاقة بين الشّرق المهزوم والغرب الاستعماريّ الّذي يغزو المنطقة العربيّة ينهب ثرواتها ويمتصّ دماءها ثمّ يتخلص منها بطريقة وحشية.

يواصل واسيني الأعرج تدعيم رؤيته الاستشرافيّة السّوداويّة لمستقبل العرب من خلال الاقتباس الثّالث الّذي صدّر به روايته، وهو مقطع من مقال للفيلسوف والكاتب الألماني آرثر كوستلر صاحب الفلسفة التشاؤميّة بعنوان الصّفر واللاّمنتهي (الظّلمة في منتصف النّهار) جاء فيه: "صحافتنا ومدارسنا تزرع الشّوفنيّة والعقلية العسكريّة والدّوغمائيّة والتّواطؤ والجهل، لا حدّ للتّسلط التّعسفيّ للحكومة الّذي يبقى فريدا من نوعه في التّاريخ، حريات الصّحافة والرّأي وحقّ التّنظيم، انقلبت كليّا، وكأنّ إعلان حقوق الإنسان لم يوجد أبدا، لقد شيّدنا أكبر جهاز أمني اصبح فيه المخبرون الصّغار مؤسسة وطنية قائمة بذاتها بعد أن تمّ تدعيمها بنظام علميّ شديد التّحديث في التّعذيب النّفسيّ والجسديّ، نقود بالسّوط الجماهير المتعطّشة نحو سعادة وهمية قريبة وحدنا نعرف مآلاتها."[22] عبّر الكاتب من خلال هذا المقطع عن التّناقضات الّتي تعيشها البشرية في العصر الحديث إذ يرمز الصّفر إلى الخواء الرّوحي والهوياتيّ والعدمية أما اللاّمنتهي فتشير إلى التّحديات غير المنتهية التي تواجه البشرية، في حين تشير الظّلمة في منصف النهار إلى الصّراع بين الخير والشّر والنّور والظّلام حيث تعيش الإنسانيّة زمنا تغلب فيه الظّلام على النّور وظهر في وضح النّهار. يسحب واسيني الأعرج نص آرثر كوستلر على العالم العربيّ ليعبّر عن موقفه المعارض لأنظمة الحكم العربيّة بأجهزتها الإعلاميّة والتّربويّة والعسكريّة الظّالمة والقامعة للحريات.

وقبل بدء السّرد يتمنّى الكاتب أن لا يحدث ما استشرفه، ويترك الفرصة أمام العرب لتدارك الوضع ورفع التّحدي لتكوين حضارة عربية جديدة في المستقبل. فالغاية من خلال تصوّر مستقبل قاتم لهذه الدّرجة هو تحذير الإنسان وإيقاظ ضميره ودعوته للبحث المستمر عن الأمل في زمن موغل في الوحشية يهدّد كرامته وحريته وحتّى وجوده، "رفع الغمامة عن العينين هو من بدون أدنى شكّ الهدف الّذي رمى إليه كتّاب هذا النّوع من الرّوايات، إنّهم يراهنون على المعنى الإيجابيّ البنّاء للتّشاؤم فهم يرمون إلى إيقاظ الضّمائر دون البحث عن سجن القارئ في تشاؤم سلبيّ."[23] فالرّوائيّ يستشرف ضمنيّا مستقبلا متفائلا للعرب.

المجلد: (17) | العدد: (02) | السنة:2025 | صفحات المقال: 243 – 253 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

4. الاستنتاج:

نخلص في نهاية هذه المقاربة السّيميائيّة التّأويليّة لخطاب العتبات النّصيّة في رواية 2084 حكاية العربي الأخير لواسيني الأعرج إلى النّتائج التّالية:

– عجّت العتبات النّصية لرّواية 2084 حكاية العربيّ الأخير لواسيني الأعرج بالملامح الدّيستوبية والقرائن الإشاريّة الزّمانيّة الدّالة على المستقبل، فقد استنفذ واسيني الأعرج كلّ جهده الإقناعي لتوجيه القارئ إلى مشروعية ما ذهب إليه من خلال اجتهاده في اختيار عنوان روايته وانتقاء النّصوص الموازية الّتي تخدم قصديته.

– تفاعلت هذه العتبات النّصيّة مع مضمون الرّواية، فقد جمعت الرّواية عناصر ديستوبيّة واقعيّة ونصيّة اختمرت في الشّبكة الذّهنيّة للكاتب ووظّفها في خدمة رؤيته الاستشرافيّة لمستقبل العرب.

5. الخاتمة:

مثّلت الرّواية الاستشرافيّة الدّيستوبيّة منحى جديدا في مسار الرّواية العربيّة، حيث اتّخذت من المستقبل فضاء زمنيّا لأحداثها، ومن الدّيستوبيا فضاء مكانيّا يعكس هموم المجتمعات العربيّة المعاصرة، وقد برز هذا الاتّجاه في كتابة الرّواية في كثير من الإبداعات الرّوائيّة العربيّة، وحكاية العربي الأخير لواسيني الأعرج نموذج عن ذلك، حيث انطلق مبدعها من قراءة واعية للواقع وفهم دقيق للماضي ليتنبّأ بالمستقبل العربيّ المثخن بالهواجس في ظلّ الأزمات السّياسيّة والتّهديدات الخارجيّة والإرهاب الذي يتّاجر بأرواح النّاس باسم الدّين، كما استشرف واسيني الأعرج توحّد أوروبا وأمريكا وإسرائيل تحت راية واحدة ونشوء حلف أميروبا، في حين يتخبّط العرب في حروبهم القبليّة ويعودون إلى بدائيتهم الأولى الّتي تجعل مآلهم الزّوال.

يسهم النّص الرّوائيّ الاستشرافيّ في رسم ملامح المستقبل، وهو بذلك يعدّنا للآتي، ويجنّبنا انزلاقات نتحمّل مسؤوليتها مستقبلا، وعليه فالاستشراف الإبداعي مطلب حضاريّ يمكن أن يسهم في ترشيد القرارات السّياسيّة. لذلك نوصي بالاشتغال على مثل هذه الرّوايات إبداعا ونقدا، كما نوصي بمزيد من القراءات في روايات واسيني الأعرج لما تحتويه من طاقات استشرافيّة وحمولات ثقافيّة ممزوجة بجماليات فنيّة.

6.الهوامش

[1]. جمال الدين بن منظور ، لسان العرب ، مادة (شرف) ، القاهرة، دار المعارف، ص2243-2242.

[2].عبد الرحمان العكيمي ، الاستشراف في النّص، 2010، ، ط1، بيروت، لبنان، مؤسسة الانتشار العربي، ص 17-18.

[3].محمّد الهادي عياد، كوثر عيّاد، أدب الاستشراف، 2021، ط1، تونس، نقوش عربيّة، ص65.

[*]تدلّ الطوباوية من خلال أصل بنيتها الاشتقاقية (طوبى) على معنى المكان المثالي الذي ينعم فيه الإنسان بالرّخاء والسّعادة ص71لفظ عربي وقع اشتقاقه من الجذر (ط،ي،ب) ومنه كلمة طوبى في القرآن الكريم، ينظر: محمد الهادي عياد، كوثر عيّاد، أدب الاستشراف، ص55.

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة:2025	صفحات المقال: 243 – 253	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

[4].محمد الهادي عيّاد، كوثر عيّاد، أدب الاستشراف، ص93.

[5]. سلمي أبو زيد شتا العشري، حول مفهوم اليوتوبيا والدّيستوبيا كمدخل للاستلهام في فن التّصوير المعاصر، بحوث في التربية الفنية والفنون، جامعة حلوان، مصر، المجلد 21، العدد1، ، ص281.

[6]. فيصل دراج، تغيّر الأزمنة ومدينة الفساد، مجلة الدوحة ، الدوحة –قطر، عدد 148، فبراير، 2020، ص23.

[**] وتطلق الناقدة التونسية كوثر عياد على هذا النّوع من الكتابة الأدب الكوابيسيّ: وهو نمط من الكتابة تستبصر المستقبل وتنبّئ بحياة كلّها خوف ورعب واستهانة بالإنسان في مقابلة مع " النّزعة الطوباويّة في الأدب" الّتي تؤسّس للمدينة الفاضلة" وللحياة المثالية الّتي يطمح إليها الإنسان، حيث تعمّ السّعادة والاطمئنان والأمن والأمان. فالأحلام تؤسس للطوباويّة، والكوابيس تؤسّس لحياة مرعبة."، ينظر، محمد الهادي عيّاد، كوثر عياد، أدب الاستشراف، ص363.

[7]. محمد الشّحات: تمثيلات الّديستوبيا في الرّواية المصريّة الجديدة" سرديّة مضادة لمدن الخراب"، مجلة الدّوحة، الدوحة – قطر، عدد 148، فبراير، 2020 ،ص31.

[8].محمد الهادي عيّاد، كوثر عيّاد، ص71.

[9].محمود فرغلي: ديستوبيا الواقع العربيّ! مجلة الدّوحة، الدوحة – قطر، عدد 148، فبراير، 2020، ص39.

[10].محمد الهادي عيّاد، كوثر عيّاد، أدب الاستشراف، ص95

[11].واسيني الأعرج، رواية2084حكاية العربي الأخير، 2016، ط1،بيروت–لبنان، دار الآداب، ص52

[12]. المرجع نفسه، ص49.

[13].بسام موسى قطّوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، الإصدار الأوّل، عمّان–الأردن، 2001، ص53.

[14]. المرجع نفسه، ص98.

[15]. خالد بلقاسم، الحكم على أدبية الدّيستوبيا "بين الواقع والخيال"، مجلّة الدوحة، الدّوحة–قطر، عدد148، فبراير، 2020، ص25.

[16].عبد الحقّ بلعابد، عتبات (ج.جينيت من النّص إلى المناص) ، 2008، ط1، الجزائر، منشورات الاختلاف، ص107

[17]Genette Gérard.Seuils.Edition Seuils.Paris.1987.p107

[18].واسيني الأعرج، 2084 حكاية العربي الأخير، ص5

[19]. المصدر نفسه، ص7

[20].المصدر نفسه، ص7

[21]. المصدر نفسه، ص73.

[22]. المصدر نفسه، ص7

[23]. محمد الهادي عيّاد، كوثر عيّاد، أدب الاستشراف ص79

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة:2025	صفحات المقال: 243 – 253	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

7.قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

1. جمال الدين بن منظور ، لسان العرب ، مادة (شرف) ، القاهرة، دار المعارف، ص2243-2242.

2.عبد الرحمان العكيمي (2010)، الاستشراف في النّص، ، ط1، بيروت، لبنان، مؤسسة الانتشار العربي، ص 17-18.

3.عبد الحقّ بلعابد،(2008) عتبات (ج.جينيت من النّص إلى المناص) ، ط1، الجزائر، منشورات الاختلاف، ص107

4.محمّد الهادي عياد، كوثر عيّاد(2021)، أدب الاستشراف، ، ط1، تونس، نقوش عربيّة، ص65.

5.واسيني الأعرج،(2016) رواية2084حكاية العربي الأخير، ط1،بيروت-لبنان، دار الآداب، ص52

الدّوريات العلميّة:

1.خالد بلقاسم، الحكم على أدبية الدّيستوبيا "بين الواقع والخيال"، مجلّة الدوحة، الدّوحة-قطر، عدد148، فبراير، 2020، ص25.

2. بسام موسى قطّوس، سيمياء العنوان ،وزارة الثقافة، الإصدار الأوّل، عمّان-الأردن، 2001، ص53.

3. سلمي أبو زيد شتا العشري، حول مفهوم اليوتوبيا والدّيستوبيا كمدخل للاستلهام في فن التّصوير المعاصر، بحوث في التربية الفنية والفنون، جامعة حلوان، مصر، المجلد 21، العدد1، ، ص281.

4.فيصل دراج، تغيّر الأزمنة ومدينة الفساد، مجلة الدوحة ، الدوحة –قطر، عدد 148، فبراير، 2020، ص23.

5.محمد الشّحات: تمثيلات الّديستوبيا في الرّواية المصريّة الجديدة" سرديّة مضادة لمدن الخراب"، مجلة الدّوحة، الدوحة – قطر، عدد 148، فبراير، 2020 ،ص31.

6..محمود فرغلي: ديستوبيا الواقع العربيّ! مجلة الدّوحة، الدوحة – قطر، عدد 148، فبراير، 2020، ص39.

المراجع باللّغة الأجنبيّة:

Genette Gérard.Seuils.Edition Seuils.Paris.1987.p107